المشكلة ليست في العناصر الفنية ولكن في التسويق:

كيف نخرج الاغنية المحلية السورية من أزمتها؟

شادي أسود

شهد برمدا

دمشق ـ «القدس العربي»

من أنور بدر:

قد لا يختلف اثنان حول تردي الأغنية السورية، والتي باتت بلا لون ولا طعم ولا رائحة ـ ان صح التعبير ـ حتى أن أي مستمع للأغنية العربية يمكنه الحديث عن أغنية لبنانية أو مصرية، عن أغنية عراقية أو خليجية، عن أغنية تونسية أو جزائرية... لكنه بالتأكيد لن يستطيع الحديث عن أغنية سورية، فلماذا؟

اذا اعتبرنا أن مكونات الأغنية هي الكلمات واللحن ثم الصوت والأداء، فسوف نكتشف أن هذه العناصر الأولية متوفرة في الساحة السورية، بل أن الكثير من المطربين العرب يتكئون على كلمات سورية، لعل أشهرها قصائد الشاعر نزار قباني، وبعضهم يتكىء أو يشدو بألحان سورية، وحتى في مجال الصوت والأداء فاننا لا نعدم كوكبة من الأصوات الجميلة والمهمة في مجالها، وقد اشتهرت خارج سورية، فخيري حمام معروف في تونس مثلا أضعاف ما هو معروف في سورية.

وحتى لو أضفنا الى لعبة الانتاج في السنوات الأخيرة، اضافة للعناصر السابقة، عنصر التصوير أو ما يسمى الفيديو كليب، سنكتشف أنها لعبة متاحة للجميع، بل سوف نكتشف أن بعض المطربين العرب يلجأون للتصوير في سورية أو عبر شركات سورية لخفض تكاليف الانتاج، وبعضهم يذهب بها الى فرنسا أو هونولولو، لا بأس ما دام هذا العنصر لن يغير من هوية الأغنية.

وما دمنا ننفي وجود أزمة في العناصر الأولية لانتاج الأغنية السورية، فان هذا يفترض الانتقال لقراءة تلك الأزمة ضمن مزدوجة العلاقة ما بين الانتاج والتوزيع حيث تكمن معادلة صناعة النجوم، وهي معادلة التسويق التي تتحكم بأي سلعة مادية أو ثقافية في هذا الزمن الذي يجري فيه تسليع كل شيء في حياتنا.

وأسجل بشيء من التقدير ـ للسيد حليمة ـ اعترافه بأهمية موضوع الأغنية المحلية، في سياق حديثه عن تطوير الأعلام السوري، صحيفة «تشرين» 2006/12/11، ووعده بايلاء كل عناية واهتمام، كما وعد ببحث جوانب الأزمة التي تعاني منها تلك الأغنية، وصولاً على وضع الحلول المناسبة والملائمة لها، مكتفياً مبدئياً باستعادة برنامج «ليالي التلفزيون» بشكل شهري.

ونحن انطلاقاً من التسليم بجدية هواجس السيد حليمة لتطوير الاعلام ودعم الأغنية المحلية، نقول كمساهمة في حوار يهدف لاخراج زير الأغنية السورية من بئر أزمتها العميق، أنها تحتاج الى ما هو أكثر من برنامج شهري أو حتى أسبوعي، تحتاج الى اعادة النظر بوظيفة الاعلام ومسؤوليته عن تطوير الأغنية السورية، متذكرين أن الاذاعة السورية كانت سباقة في النصف الأول من القرن الماضي لاطلاق العديد من الأصوات الجميلة على مستوى المنطقة العربية، لعل أهمها فيروز مثلاً، فلماذا تبدو هذه الاذاعة الآن وتوأمها التلفزيون السوري عاجزان عن اطلاق أصوات جديدة؟

* * *

لنعترف بأن آليات الانتاج قد تطورت عما كانت عليه قبل نصف قرن من الزمان، ولنعترف بأن آليات التوزيع أيضاً قد تطورت في العقود الأخيرة، لكن الأهم من كل ذلك يكمن في الرؤية العامة لموضوع الأغنية والدراما والثقافة ككل، وأقصد الرؤية السياسية، بحيث نلحظ أن تأثير هذه الرؤية في تطوير الدراما السورية كان واضحاً على حساب كثير من المسائل كالمسرح وسواه، وحتى في حقل الأغنية، نجد تشجيعاً للون من الأغنية السورية الهابطة على حساب ألوان أجمل وأرقى من الأغاني، وهذا يحيل الموضوع برمته الى الهيئة العامة للاذاعة والتلفزيون التي تتبوأون ادارتها، باعتبارها الجهة المعنية برسم تلك الرؤية العامة نظرياً، ومعنية بتنفيذها عملياً.

لذلك نقول أن هذه الاذاعة ببرامجها المتنوعة والتلفزيون السوري بفضائيته وأرضيته الأولى والثانية، تغرقنا كمستمعين وكمشاهدين بسيول كثيفة من الأغاني التي لا تليق بالاذاعة والتلفزيون السوري، ولا تليق أيضاً بالمستمع أو المشاهد السوري والعربي الذي نتوجه اليه.

ولنعترف أنه رغم الانتشار الهائل في أشرطة الكاسيت وتسجيلات الـ(CD)، الا أن التلفزيون هو العامل الأساسي في نشر وتسويق الأغنية، وفي صناعة الدعاية والاعلان لها بما يكفل صناعة وتسويق نجوم الغناء لدينا. ولن تستطيع أقوى شركات الانتاج الفني في العالم تسويق أغنية أو صوت دون البث الاذاعي والتلفزيوني والاعلان لها أيضاً.

وهذا يعيدنا الى مهرجان الأغنية السورية الذي يصرف عليه ملايين الليرات السورية، دون أن يقدم في دوراته الـ(11) المنصرمة صوتاً واحداً يستطيع أن يحجز لنفسه مساحة في عالم الغناء، بل نشاهد الآن في سورية أن بعض الأسماء المحلية التي فشلت في الوصول الى اللقب الأخير ضمن برنامج (سوبر ستار) أو أشباهه على الفضائيات العربية، بدأت تكتشف مستمعين لها ومتابعين كشادي أسود أو شهد برمدا وسواهما. فيما الدورة الأخيرة من مهرجان الأغنية السورية والتي أحيلت الى التلفزيون السوري، لم تترك أي صدى حتى تاريخه، رغم وجود السيد حليمة كمدير لهيئة الاذاعة والتلفزيون عضواً في اللجنة المشرفة على ذاك المهرجان.

من جهتنا لا ندعي امتلاك وصفة سحرية لحل الأزمة، لكن يمكن لنا كمساهمة في الحوار أن نسجل بعض الملاحظات:

1 ـ يبقى التلفزيون لدينا هو الجهة الانتاجية الأساسية، دون أن يعني ذلك الغاء للقطاع الخاص أو للشركات الخاصة، فكما يحرص التلفزيون على انتاج دراما منافسة لانتاج الشركات الخاصة، عليه أن يحرص على انتاج أغان منافسة أيضاً، وأن لا يقتصر نشاطه على تسجيلات الأغاني الوطنية أو الشعبية، خاصة تلك التي لا تتمتع بقدرة تنافسية أو بسوية فنية لائقة.

2 ـ المسألة الأخرى المهمة، هي وجود كم من الأصوات المتميزة في سورية، من خريجي المعهد العالي للموسيقى، اختصاص غناء، أو من خارج المعهد، بعضهم حاصل على جوائز عالمية أو تصنيفات متقدمة دولياً وعربياً في هذا الحقل، نذكر منهم على سبيل المثال: لينا شاماميان، لبانة قنطار، ليندا بيطار، وعد بوحسون، سيلفي سليمان، ميرنا قسيس، شمس اسماعيل.... وما لا يقل عنهن من الأصوات الذكورية الشابة، لكننا لا نلتقي بهم الا في حفلات خاصة جداً ضمن المركز الثقافي الفرنسي أو في دار الأوبرا أحياناً.

فأين التلفزيون السوري من هذه الأسماء؟ لماذا لا يجري الاهتمام بها وتسويقها محلياً وعربياً؟ لماذا لا ننتج أغاني لهذه الطاقات الصوتية المثقفة والأكاديمية؟ لماذا لا يبث التلفزيون السوري ـ بشكل دوري أو متقطع ـ الحفلات التي سجلت لأصحاب هذه الأصوات؟ وأخيراً لماذا نصرف الملايين على مهرجان الأغنية السورية على أمل أن نكتشف صوتاً جميلاً، ونتجاهل تلك الأصوات المتميزة؟

3 ـ كذلك لدينا أصوات مهمة ومطربون كبار يجري تجاهلهم من قبل التلفزيون السوري، فكم مرة في الشهر نستمتع بصوت صباح فخري مثلاً؟ ومن من طلاب الجامعة يميز مثلاً بين شادي جميل وخيري حمام؟ ولماذا تحتفي دار الأوبرا المصرية بالفنان الكبير صفوان بهلوان بينما لم يظهر على الشاشة السورية منذ سنوات طويلة؟ ولماذا يتجاهل التلفزيون السوري رحيل شيخ المطربين العرب صبري مدلل منذ أشهر؟ ولماذا تجاهل الاعلام السوري رحيل مطربة مهمة بقامة ربا الجمال، ويصر على عدم تقديم أغانيها أو حفلاتها؟

4 ـ في سورية اضافة لكل ذلك، عدد من الفرق الفنية الهامة لا نسمع بها الا في حفلات خاصة جداً، كفرقة قدري دلال في حلب، أو فرقة شيوخ سلاطين الطرب، وهي فرق لها حضور متميز على صعيد معهد العالم العربي في باريس، أو في دول المغرب العربي، ولها تسجيلات في التلفزيون السوري، لكنها موجودة للحفظ في الأرشيف على ما اعتقد، وليس للاستفادة منها كثروة وطنية، ومن من المشاهدين يعرف فرقة «قوس قزح»؟ ومن منهم يميز ما قدمته من تلوينات على الأغاني الأصيلة وبتوزيع موسيقي رائع؟ ومن منا يعرف تلك المنوعات الخفيفة التي شكلت علامة فارقة وجيدة في امكانية التعامل مع هذا اللون الغنائي؟ ولماذا لا تقدم في برامج المنوعات التي يحفل التلفزيون السوري بها؟

5 ـ المشكلة اذاً ليست في الأغنية السورية، بل في تسويق الأغنية السورية، وهذه مهمة التلفزيون السوري أولاً وأخيراً، ونحن نقترح في هذا الصدد اعادة النظر أولاً بسوية الأغاني المنتجة في التلفزيون، لصالح أصوات متميزة اشرنا لبعضها. ونقترح ثانياً اعادة النظر ببرامج المنوعات مع التركيز على الأغنية السورية الراقية والمتميزة، واعادة تقديم التسجيلات والحفلات المصورة لصالح التلفزيون بشكل دوري، ضمن هذه البرامج، وكفواصل غنائية فيما بين البرامج.

الاقتراح الأخير في وضع خطة لتسويق هذه الأغاني، ليس عبر الشاشة السورية فقط. بل عبر الفضائيات العربية، ضمن خطة لتبادل التسجيلات والأغاني، وكلي ثقة أن الأغنية السورية قادرة على أن تنافس عربيا، وأن تصنع تميزها ونجاحها في حال توفر الدعم والرعاية الذين تستحقهما.

يهاجم الوسط الغنائي ويرفض اطلاق لقب مطرب على «اي مونولوجست»

هاني شاكر: شعبان عبدالرحيم إساءة للمطربين العرب!

هاني شاكر

القاهرة ـ «القدس العربي»

من محمد عاطف:

رومانسية أغانية قادته الى قلوب المحبين، فإذا هو رمز لن أحب، أنه مطربنا الكبير هاني شاكر الذي يمثل تيار المطربين العاطفيين، ويحرص على تقديم ألبوم واحد في العام. فقضى فترة بعيدا عن استوديوهات التسجيل ليدرس العروض المقدمة له من شركات الانتاج وأخيرا تعاقد الفنان هاني شاكر على انتاج وتوزيع ألبومه المقبل مع المنتج محمد موسى صاحب شركة «آرت لاين» وسيطرح خلال شباط (فبراير).

■ ماذا عن أغاني ألبومك الجديد؟ ولماذا تأخر هذه المرة؟

■ بالنسبة لتأخير الألبوم للمفاضلة بين أكثر من أغنية وأكثر من عرض للانتاج، وأول أغنية سجلتها بعنوان «اسمي» تأليف عبدالمنعم طه وتلحين شريف تاج وتوزيع موسيقى مدحت خميس، وهناك أغنيات من تأليف الشعراء مصطفى مرسي وبهاء الدين محمد ومنصور الشادي، ومن تلحين محمد ضياء الدين ووليد سعد وخالد جنيدي.

■ لماذا تقدم ألبوما واحدا كل عام وأحيانا كل عامين؟

■ لا أميل الى النجاح الآلي أو المؤقت لأن البقاء في القمة يتطلب الأغنية والصوت والإحساس والذكاء الفني، ولذلك أميل إلى الغناء القديم.

ألقاب خاطئة

ويحذر هاني شاكر من اطلاق بعض الألقاب الخاطئة على الوسط الفني ويقول: فوجئت بإطلاق لقب مطرب على أي منولوجست، لأن في ذلك خلط للمسائل التي يريدها المطرب محددة بدقة متناهية، وهي غير محددة في حسابات المنولوجست، وهذا أدى الى عدم اقتناعي بنسبة كبيرة من الانتاج الغنائي الحالي، لعدم وجود ضوابط خاصة تحد من التدفق الغنائي السيئ، وهنا يجب أن نعيد النظر إلى لجنة اختيار الأصوات.

دويتو

■ هل توافق على تقديم دويتو غنائي؟

■ أوافق بشرط أن يكون العمل مكتوبا جيدا ومع صوت مطرب أو مطربة يتناسب معي مثل أصالة أو أنغام.

■ بمناسبة ذكر أصالة لماذا شجعت شقيقتها على الغناء وزميلتك ترفض ذلك، وهاجمتك؟

■ المطربة ريم نصري شقيقة أصالة مصممة على احتراف الغناء، وذلك بتشجيع من زوجها، فلماذا وضعتني أنا في مقدمة الموضوع، هل لمجرد ابدائي الاعجاب بصوت ريم؟ على أصالة أن تقنع شقيقتها بوجهة نظرها لوقف مشروع احترافها الغناء.

المنولوجست

■ بعد هجومك على المطرب الشعبي شعبان عبدالرحيم فضلت الصمت وعدم التعليق عليه مرة أخرى هل يعني ذلك انك غيرت رأيك فيه؟

■ لم أغير رأيي لأن هذا الرجل ليس سوى منولوجست، ولا يعكس صورة الفن المصري الأصيل لأن رصيد مصر هو حضارة فنية راقية ولا ينتظر الغرب لتصنيفه أو الإشارة إليه بعد أن استضافت قناة C.N.N العالمية لهذا الرجل وهو ما أراه بمثابة استهزاء للفنانين العرب.

■ ما رأيك في الوسط الغنائي حاليا وفي مطربات الاستعراض؟

■ ما أراه اعتبره وضعا مخزيا حقا، فالملحنون يقتبسون الألحان بدلا من البحث عن الابتكار، اما انتشار مطربات الاستعراض والإثارة فانهن حالة زائلة ولن تدوم لأنها حالة شاذة بالطبع وغريبة ولابد أن تعود الأصالة الى السيطرة على الساحة الغنائية لأنه لا يصح إلا الصحيح، فالظاهر الآن والمطلوب ليس الصوت الجميل بقدر ما هو الشكل الجميل والفستان المكشوف، وأرفض تناول هؤلاء في أحاديثي، وأفضل الكلام عن أنغام وأصالة ومدحت صالح وعلي الحجار ومحمد ثروت ومحمد الحلو، أما المغنيات لا أستطيع التواصل معهن، ولا دخل لي في عالمهن.

■ ما هي الأغنية التي استفزتك مؤخرا؟

■ «الواوا» وعموما أنا لا أشكو من أي واوا ـ ويضحك هاني شاكر ـ ولو سمعت ابنتي تغنيها لأنتقمت منها.

■ لكل مطرب مستشار خاص له يثق في رأيه من مستشار هاني شاكر؟

■ المستشارون الذي أثق جدا جدا في آرائهم أسرتي المكونة من زوجتي نهلة وولدي دينا وشريف فهم صرحاء جدا معي، بل اعتبرهم حقل تجاربي الفنية الأول، وليس معنى كلامي أن هناك رغبة من ولدي الدخول عالم الفن لأنهما لا يطمحان الى ذلك رغم تمتعهما بالموهبة، وفي نفس الوقت أنا أرفض هذه الخطوة لأن حال الغناء هذه الأيام لا يتطلب صوتا جميلا ـ كما قلت ـ ولا الى ثقافة موسيقية وموهبة حقيقية، وانما يتطلب مواهب شكلية، ولذلك ابنتي مثلا تحب الغناء ولا تحب ممارسته.

شباب دائم

■ كيف تفسر شبابك الدائم وأنت تغني من زمن؟

■ لأن الأصالة لم تندحر كليا، والسميعة مازالوا بخير، ومهما حاولت بعض الفضائيات.

■ ماذا تقصد بلفظ «نحن»؟

■ أقصد جيل المطربين الأصليين في سائر الوطن العربي الذين ينظرون لمستقبل الأغنية وكيف يتم تطويرها بالشكل الأمثل الذي لا يؤدي الى انحرافها عن الطريق الصحيح مثلما يسعى البعض لذلك حتى يحظوا بالاهتمام لفرضهم أسلوبهم على الناس، ولهذا يسعدني تطور المهرجانات الغنائية المحترمة مثل مهرجان الموسيقى العربية الذي تعقده دار الأوبرا كل عام في مصر، وتحققت له الخبرة والمصداقية اللتين تأكدتا في دوراته السابقة ويأتي اليه نجوم الغناء من كافة أنحاء الوطن العربي بكل حب، ويحرصون على المشاركة فيه، وهناك مهرجانات كبرى في السعودية والكويت والإمارات لابد أن يساندها الجميع لأنها تهتم بالأغنية.

غيرة

■ كيف ترى غيرة المطربين من بعضهم الآن؟

■ الغيرة من نجاح الآخرين لا يجب أن تدخل مجال الحسد، بل تندفع في تيار المنافسة الصحية للوصول الى التميز.

■ ترددت شائعة بينك وبين الممثلة السورية راندة مرعشلي التي شاركتك تصوير فيديو كليب «بتحبيه»، ما تعليقك؟

■ أراها شائعات ساذجة لا أحب الاستماع لها أو حتى التعليق عليها، وجاء اختياري للممثلة السورية بعد أن شاهدتها في مسلسل بعنوان «بكرة أحلى» ووجدتها ذات أسلوب جذاب للمشاهد في أدائها، والفيديو كليب اعتبره فيلما رومانسيا قصيرا ويجب اختيار من تشاركني فيه بدقة لأضمن نجاح العمل، وأنا لم التق بها سوى ليومين أثناء التصوير وهي متزوجة، ولم يتعرض اسمي من قبل لهذه الموضوعات التافهة، لأنني معروف عني استقراري العائلي وهو أساس نجاحي الفني، وعائلتي تعرف أن فني يأتي في مقدمة حياتي وهم يرضون ذلك ويقدرون هذا الأمر.

فضائيات

«مسح الأرض» بالخصم بطريقة غالواي ورقباء «قطاع خاص» لقمع الصحافة

توفيق رباحي*

■ اتوقع ان حلقة «الاتجاه المعاكس» الاخيرة ستبقى من انجح الحلقات في عمر البرنامج، ليس لان احد ضيفيها، البرلماني البريطاني جورج غالواي، مسح الارض باخر، من البيت الابيض الامريكي (لم اهتم كثيرا باسمه ووظيفته) في ربع الساعة الاخير من الحلقة. فـ«مسح الارض» معهود في البرنامج مثلما هو معهود الصراخ وتبادل الاتهامات، لكن نجاح الحلقة ينبع من كون ضيفيها غربيَين ينتميان، نظريا، لدولتين حليفتين في الكثير من المؤامرات التي تحاك ضد مساكين العالم باسم نشر الديمقراطية في العالم.

تعودّ «زبائن» برنامج «الاتجاه المعاكس» على ضيوف عرب تحت تنميط جاهز، احدهم موال للغرب يُدمغ بانه «ليبرالي» واخر عدو له يوصف بانه «محافظ» او «قومجي».. هذا ضد ايران وذاك مع سورية، الخ من التصنيفات التي تشبه احكام الاعدام وتجعلك، قبل ان تفكر في قول رأيك، تفكر الف مرة في خانة تصنيفك عندما يسمعه الناس. وفي احسن الاحوال شاهد «الزبائن» ضيفا عربيا يهاجم الغرب واخر غربيا يرد بما اوتي من قوة وحكمة.

وجاء الاختلاف هذه المرة فكان الدرس. من عناوين الدرس الذي يجب ان يستشهد به القاسم في المستقبل ان الخلاف العميق بين غالواي والامريكي لم يمنع كليهما من مناداة الاخر باسمه. الاول يقول «اسمعني يا جورج» وهذا يرد بـ« لا يا زفت» (زفت من عندي لان اسم الضيف الاخر لا يهمني ولا اعتقد انه يهمكم).

ومن العناوين الاخرى للدرس ان النقاش لم ينزل الى مستوى «اخرس، اخرس يا..» والتنابز من نوع «انت قليل ادب» كما فعل ثرثار مصري ـ يسمونه «خبير» في الجماعات الاسلامية ـ الاسبوع الماضي مع خصم موريتاني هادئ. وعندما قرر غالواي ان «ينُزل» المستوى، فعل باناقة لغوية وسياسية قائلا لخصمه «عندما كنت انا اتظاهر امام السفارات بلندن، كنت انت تلبس الشورت».

اما العنوان الابرز والذي اعتقد ان ملايين العرب وكل الذين شاهدوا الحلقة يتلذذون به، فهو ان الكلام الجميل المؤثر الذي يحبونه ويستمتعون به صدر على لسان سياسي بريطاني مكتف من جميع النواحي ولا شيء يضطره لكره امريكا ومعاداة رئيس حكومة بلاده. فلو صدر نفس الكلام على لسان «خبير استراتيجي» عربي من «الخبراء» اياهم، لكان كمن يضيف كوبا من الماء في مسبح اولمبي.

كانت حلقة جميلة ربما استمتع الناس بمتابعة مضمون ما قيل فيها اكثر، بعدما عودّهم البرنامج على متابعته بحثا عن فرجة الشكل والسباب والصياح. قد تكون ايضا من الحلقات التي تكلم فيها فيصل القاسم اقل ولم يرفع خلالها ساعديه باتجاه الضيفين «يا جماعة لحظة بالله.. يا زلة دقيقة يا زلة!».

لن انهي هذا الكلام دون تحية المترجمَين. رغم ان الترجمة تأكل من روح ورصيد النقاش، الا انهما يستحقان رفع القبعة، خصوصا انهما لم يترجما خطابا او كلمة جاهزة، بل نقاشا فوريا عفويا ملتهبا.

مع وقف التنفيذ!

■ هلل المغرب كله لحكم قضائي بالسجن ثلاث سنوات لصحافية ومدير مطبوعة «نيشان» الاسبوعية، وبمنع صدور المجلة مؤقتا.

لمعرفة موقف «المخزن» من الحكم «المخفف» (المنتظر كان ثلاث او اربع سنوات مع النفاذ)، كان يجب متابعة تلفزيونات المغرب ذلك المساء.

والنتيجة ان «المخزن» قد تبنى الحكم، فمساء صدوره (الاثنين الماضي) احتفت به «دوزيم»، غطت القضية وزادت بتخصيص حيز في نشرتها المسائية تحدثت فيه عن واقع ومستقبل الصحافة المكتوبة بالمغرب.

بيد ان هذا الاحتفاء، وغيره خارج «دوزيم»، يغطي على قساوة الحكم الذي تلقف الناس منه عبارة «وقف التنفيذ». والحال ان اي صحافي تجري في عروقه هذه المهنة يفضّل ستة اشهر او سنة مع النفاذ، كيفما كانت، عن سيف «وقف التنفيذ» مسلولا فوق رقبته ثلاث سنوات.

اشم رائحة صفقة ما في الموضوع: الحكومة المغربية اهتدت الى ما نسميه عندنا «لا يجوع الذئب ولا يبكي الراعي». لقد قدّرت حجم الضغوط من مشيخات الخليج وجماعات الاسلام السياسي، فاصدرت حكما قاسيا تلفه قبضة من حرير، يرضي الضاغطين الغاضبين ولا يغضب المدافعين عن حرية الصحافة والتعبير، خصوصا ان المغرب، مجتمعا وحكومة، كان ذات يوم في مقدمة المحتجين على الرسوم الكرتونية الدنماركية.

في هذا السياق جاء تعليق وزير الاعلام المغربي على الحكم، ابلاغ من يهمه الامر هنا ان الدولة رحيمة باولادها، ومن يهمه الامر هناك انها لا تتسامح مع الاساءات للاسلام.

مشكلة الصحافة في دولنا ان هناك قوى عوّضت السلطة في لعب دور الرقيب. ففي المغرب (وسواه) لم تعد الحكومة هي المشكلة، بل قوى قد تكون من اصحاب المال او النفوذ السياسي او الاقتصادي او الديني او البولحية. وفي احسن الاحوال لا تفعل الدولة سوى ممارسة القمع، باسم القانون، نيابة عن تلك القوى.

وفي الجزائر لم يعد بوتفليقة هو الرقيب، بل جهات نافذة يعرف عامة الجزائريين ان احداها حاليا شركة «جيزي» للهواتف الجوّالة التي نابت عن اخرى اسمها «الخليفة» اغرقت رجال ونساء الصحافة بالهدايا المسمومة. وبين هاته وتلك أُلغيَ برنامج «ستار اكاديمي» بالتلفزيون الجزائري العام الماضي، وقالت صحف ان «الخوانجية» ضغطوا لالغائه بحجة انه يفسد الاخلاق.

في كل مرة يأتي احدهم ليذل ارباب الصحف والمطبوعات ويديرهم مثل الخواتم في الاصابع.

اخبار العدالة!

■ الاسبوع الماضي استضافت «الجزيرة» في نشرتها المغاربية برلمانيا جزائريا اسمه حسن عريبي. يبدو انه من الاسلاميين «المكرفطين» (كرافاطة ـ ربطة العنق) او محسوب عليهم، لكن الرجل يفتي في كثير من الاشياء وله طلات تلفزيونية في سياقات معينة تتعلق بالتجاذبات السياسية داخل البلاد.

في الطلة الاخيرة سئل عن العراق وايران عشية «توقف» (ألغي لاحقا) للرئيس احمدي نجاد بمطار الجزائر ولقائه بوتفليقة، فرد متهجما على «الصفويين» واصفا اياهم بابشع النعوت. ثم سئل عن ايران فقال «طبعا الجمهورية الاسلامية دولة صديقة ولنا معها علاقات وبيننا احترام (..) وعندما نلتقي بالاخوة الايرانيين سنثير معهم موضوع الصفويين»!.

ذكرني هذا برئيس وزراء جزائري في اواخر الثمانينات كنت ضمن وفد صحافي رافقه في زيارة عمل الى احدى الولايات الزراعية بغرب البلاد.

كانت الجبهة الاسلامية للانقاذ في ذروة انتشارها، فكان الخطاب السياسي الرسمي لا يخلو في مجمله من تلميحات دينية حتى يقال للناس «لسنا اقل اسلاما او ايمانا من البولحية».

هناك التقى المسؤول فلاحين بسطاء انهكتهم الحياة عرضوا عليه مطالب بسيطة لم تكن تتجاوز جرارا، آلة حصاد، مولدات كهرباء للسقي، بذوراً الخ. لكنه القى عليهم وغيرهم من الحضور خطابا ليقول لهم ان الدولة لم تعد «البقرة الحلوب» وانها رفعت يدها عن كثير من الاشياء. فكان ان قاده الخطاب بعيدا الى كلام نخبوي عن الفرق بين الاشتراكية العلمية والاشتراكية التي تطبقها الجزائر، والعدالة في توزيع الثروات، فقال وهو يضرب بقبضته على الطاولة في اصرار «حتى الله عز وجل يقول في كتابه العزيز وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة».

كانت هذه العبارة اجمل ما خرجنا به من تلك الزيارة. وربما كان وعد البرلماني باثارة «موضوع الصفويين مع المسؤولين الايرانيين» افضل ما طلع به مشاهدو نشرة اخبار «الجزيرة» ذلك المساء.

هوامش

■ زار رئيس البرلمان الفرنسي جون لوي دوبريه مقهى بالجزائر لـ«جس نبض الشارع». وعلى ذمة وكالة فرانس برس، التقى المسؤول الفرنسي طلابا جامعيين ناقشوه في الدنيا والدين ثم اشتكوا له من ان القنوات التلفزية الفرنسية اصبحت كلها مشفرة بالكارت. يا لها من اشارة، لكن قد اسمعت لو ناديت حيا..

---

* كاتب من اسرة «القدس العربي»

toufik@alquds.co.uk

وارضيات